إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثانية عشرة ـ العدد الثامن والأربعون ـ شتاء ١٤٠١ش/كانون الأول ٢٠٢٢م
20.1001.1.22516573.2022.12.48.4.2
صص ١١٠ ـ ٨٧

تأثُّر علاء الأسوانى بشخصيات حقيقية فى رواية "عمارة يعقوبيان" على أساس نظرية التقليد والتمثيل؛ زكى الدسوقى نموذجا

أعظم بى‌باک*
سيد ابراهيم آرمن (الكاتب المسؤول)**
عطاء الله كوپال***

الملخص

إن عمارة يعقوبيان هى إحدى روايات الكاتب المصرى المعاصر علاء الأسوانى الذى اشتهر بنظرته النقدية للمجتمع المصرى والحكومة. يدرس الروائى فى روايته التى بُنيت على عمارة تحمل نفس الاسم مشاكل وصعوبات المجتمع المصرى المعاصر ويحلّلها حيث أبطال روايته نماذج من شرائح المجتمع وهذا المقال يقوم على نظرية التقليد والتمثيل وحسب هذه النظرية، يتم تقييم العمل الأدبى بناءً على درجة انعكاس الحقائق المحيطة به ودرجة صدقه فى إظهار ما يعكسه، لأن أساس الفن هو التقليد وقابلية التأثير، وعمل الفنان هو قول الحقيقة مع الخيال. وتطرق هذا البحث إلى دراسة وجوه الشبه والاختلاف فى إحدى شخصيات الرواية "زكى الدسوقى" مع الشخصية الحقيقية "زكى رستم". وأهم ما توصل إليه البحث هو أن الأسوانى قد تأثّر كثيرا بسيرة حياة الفنان المصرى الشهير "زكى رستم" واستلهم منها معالم الشخصية الخيالية، ومن هذه المعالم التى يمكن ذكرها: اسم الشخصية والوضع الاجتماعى الرفيع لأبيه وكيفة نشأته ومكان عيشه والتاريخ العائلى ونمط الحياة والإمكانيات المالية والرفاهية.

الكلمات الدليلية: عمارة يعقوبيان، علاء الأسوانى، زكى الدسوقى، زكى رستم، التقليد، الواقعية. الخطابى، التشويش، التوتر.

*. مرشحة للدكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية**، كرج، إيران
. أستاذ مشارک فى اللغة العربية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
Shams1516@yahoo.com
***. أستاذ مشارک فى اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية**، كرج، إيران
تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/١١/٠٨ تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٨/١٣

المقدمة

الأدب جـزء غير منفک من ثقافة الأمم، ويُعرف الناس فی العالم بأدبهم. والقصص القصـيرة والرواية من نتـاج الأدب وفی الواقع، فيها يعبر المؤلـف عن أفكاره وآرائه الفلسـفية عبر شـخصيات الرواية والأفعال وردود الفعل بينهـم، والتی يمكن تقديمها علـی أنهـا حقيقية أو خيالية أو حقيقة فی غلاف الخيال. حيث كان اسـتخدام الأسماء الحقيقية للأماكن أو الأشـخاص وتلوين قصصهم بألوان الخيال ممارسـة شـائعة لرواة القصـص والكُتّاب ويمكن أن يبعث فضول للناس حرصهم على قراءة النصوص الأدبية كهـذه. وفی هذا المجـال من يركّز علـی آلام المجتمع ومشـاكلها ويعرضها فی نتاجه الأدبی يسـعی بيانها بوضوح أكثر وبأجمل صورها لتوعية الحكومة والمجتمع بالمواضيع المطروحـة والاهتمام لإزالتهـا. ومن هذه الروايات رواية "عمـارة يعقوبيان" للكاتب المصری المعاصر الدكتور علاء الأسوانی المأخوذ اسمها عن عمارة حقيقية بشارع طلعت حرب، أحد أهم وأشهر الشوارع بالقاهرة – والذی يقع فی منطقة وسط البلد ويمتد من ميـدان التحرير مرورا بميدان *طلعت حرب* فی القاهرة عاصمة مصر وحسـب تصريح الكاتب فی مقدمة الكتاب فإن جميع أسماء الرواية وشـخصياتها خيالية سـوى اسـم البناء، وأبطال روايته نماذج عن شـرائح المجتمع كالبشـوات وأبناءهم الأثرياء ذوات المكانة الاجتماعية والفتيات والنساء الفقيرات اللاتی يتعرضن لمعاملات السوء من قبل أصحاب العمل فی المجتمع والمثلية الجنسـية واستغلال السلطة لرجال الحكومة والظلم للشـعب المظلوم وكيفية معاملة قوات الأمن مع المحتجين بشكل أسوء والاعتداء عليهم جنسـياً. إن الروائی يضع المجتمع المصری أمام مرآة ليرى حقيقته المستترة بين طبقات المجتمع. لقد مثّل الأسـوانی الحقائق من حوله، ويمكن اعتبار أسلوبه واقعيا. استخدام اسـم "عمارة يعقوبان" الذی يعتبر من أشـهر مبانی القاهرة، يثير التسـاؤلات تلقائيا فی أذهان الجمهور حول تشـابه الأسماء والأحداث المستخدمة فی الرواية، وهی: هل العمـارة الخيالية نفس العمارة الحقيقية؟ وهل ثمة علاقات بين سـكان العمارة الحقيقين وشـخصيات الرواية؟ وهل استخدم الروائی السـكان الحقيقين نماذج لخلق شخصياته الروائيـة؟ يتطرق هذا البحث إلى تأثّر الروائی من الشـخصيات الحقيقية ويقارن أحد

أبطال روایته "زکی الدسوقی" والفنّان المصری الفقید والمعاصر "زکی رستم" مع بعض.

خلفیة البحث

نظـرا لمعرفة المجتمـع الأدبی الإیرانی ومحبّـی الروایات لعلاء الأسـوانی وروایة عمارة یعقوبیـان، فقد درس العدید من الباحثین الإیرانیین هـذه الروایة من الجوانب المختلفة، کأسـلوب سرد الروایة وبناء الشـخصیة فی الروایة وانعکاس عدم المساواة الاجتماعیـة فی الروایة، منها: ۱. روایت شناسـی رمان عمـارت یعقوبیان اثر علاء الأسـوانی بر اسـاس نظریه روایتی ژرار ژنت. (دراسة سردیة لروایة عمارة یعقوبیان من علأ الأسـوانی حسب نظریة سـردیة لجرار جنت)، صلاح الدین عبدی وآخرون، مجلة لسـان مبـین، الخریف،۱۳۹۳ش – العدد۱: القصة تعانـی من الذهان وحالة غیر طبیعیة فی السـرد والراوی من خلال اسـتخدام أسلوبین أی تواجد قلیل وتقدیم الحد الأقصی مـن المعلومات، یحاول أن یقلـص الفاصل بین القصـة والروایة لإظهار نص الروایة واقعیا. إن نقله للروایة یکون عادة بشـکل المونولوج أو النجوی أو الحوار مع النفس أم تیار الوعی. ۲. نقد رمان عمارت یعقوبیان بر اساس رئالیسم در نظریه جامعه شناسی "جورج لوکاچ" (نقد روایة عمارة یعقوبیان استنادًا إلی الواقعیة فی نظریة علم الاجتماع لجورج لـوکاس)، زهرا أفضلی وآخرون. نقد ادبی معاصر، ۱۳۹۵ش، العدد ۱۲). یعکس الروائـی الحقائق دون تطبیق أفکاره وبجرأة کاملة وقد صرّح منطقیا عبر الروایة التناقضات الاجتماعیة عن الفسـاد الأخلاقی والسیاسی والإداری (الواقعیة النقدیة) وبسبب اهتمامه تجاه شعبه، فقد عبّر عن المشاکل الموجودة فی المجتمع (روایة شـعبیة). ۳.نقد جامعه شناسـی رمان عمارت یعقوبیان (النقد السوسـیولوجی لروایة عمارة یعقوبیان). علی گنجیان‌خنـاری وآخرون. نقد ادب عربی، ۱۳۹۲ش، العدد۷). یقدم الأسـوانی فی روایته صورة کاملة وباثولوجیة للمجتمع المصری وکل شخصیات الروایـة تعانی من عـدم الکفاءة والإحباط ویری أن الخروج من المشـاکل یتمثل فی النهـوض وإحداث التغییر وتحقیق الدیمقراطیة الحقیقیة. تطرق بحثنا هذا إلی مدی تأثر أحد الشـخصیات فی الروایة بشخصیة حقیقیة ومشهورة وهی مبنیة علی نظریة التقلید والتمثیل التی تعتبر من أهم النظریات الأدبیة وهو موضوع لم یتطرق الباحثون إلیه.

أسئلة البحث

١. هل هناک علاقة بين الشـخصيات الخيالية فی الرواية والأشـخاص الحقيقيين الذين يعيشون فی عمارة يعقوبيان؟
٢. هل كان اختيار اسم "زكی" لإحدى الشخصيات فی الرواية صدفة؟

فرضيات البحث

١. تتشـابه الشـخصية الخيالية "زكی الدسوقی" أحد الشـخصيات الرئيسية فی الرواية، مع الشـخصية الحقيقية "زكی رستم" الفنان الشهير الفقيد الذی عاش فی عمارة يعقوبيان منذ سنوات عديدة.
٢. يبدو أن اختيار الاسـم بسبب التشابه بين الشخصيتين الحقيقی والروائی ليس صدفة، وقد اسـتخدم الروائی شـهرة زكی رستم للتأثير فی الرواية إضافة إلى اسم الرواية.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث منهج التحليل الوصفی لتحليل الشـخصية الخيالية مع الشـخصية الحقيقية وقد قمنا بجمع المعلومات عبر الكتب والمقالات العلمية وأيضا بالاعتماد على المواقع والمجلات الإلكترونية العربية لمعرفة حياة الفنان المصرى الشهير زكی رستم.

علأ الأسوانی

ولد علاء الأسوانی أديب مصرى ٢٦ مايو (١٩٥٧م) وهو طبيب أسنان وروائی ومن معارضـی الحكومة المصرية. كتب رواية عمارة يعقوبيـان (٢٠٠٢م) وتمت ترجمتها إلى أكثر ٣٠ لغة ونالت ١٥ جائزة دولية. تحوّلت فيما بعد إلى فيلم سـينمائی عام (٢٠٠٥م) الذى أدّى إلى ترحيب الناس أكثر فأكثر للرواية. (بوظو، ٢٠٢١م: الحرة)

ملخص الرواية

تدور أحداث الرواية على أربع قصص تجتمع فی رواية واحدة ويرتبط بعضها من بعض

بخیط رئیسی وهو عمارة یعقوبیان وتتطرق الروایة إلی مواضیع متحدیة منها: السیاسة واستغلال أصحاب السلطة من قدراتهم والتطرف الدینی والجنس والمثلیة الجنسیة وعدم اهتمام الحکومة والمجتمع إلی حقوق المرأة والفقر ومستقبل قانط أمام الشعب المصری. فأبطال الروایة هی: زکی الدسوقی وطه الشاذلی وبثینة والحاج عزام وحاتم رشید.

المدخل

اسم الروایة مأخوذ من عمارة حقیقیة قدیمة بشارع طلعت حرب ویمکن القول إن المکان عنصر بارز فی بناء الروایة خاصة إذا کان المکان ذا هویة تاریخیة وشاهدا للأحداث المهمة. ونجح الأسوانی بحسه الشعبی علی تسلیط الضوء علی هویة ثقافیة. جدران عمارة یعقوبیان لها قصص لمن عاش خلفها منذ أزمنة عدیدة وکأنها مصر صغیرة بشرائح شعبها المختلفة. فی الحقیقة یکشف المکان عن شخصیة الإنسان والإنسان یعطی للمکان قیمته والمکان لیس مجرد وصف هندسی بل إنه یکسب سمات الشخصیة کما کان فی هذه الروایة. (الحفناوی، ۲۰۲۱م: ۳۳۷-۳۵۳)

زکی الدسوقی (الشخصیة الروائیة)

ابتدأت الروایة بتعریف شخصیة زکی الدسوقی کأنه من الشخصیات الرئیسیة للروایة. کان زکی الابن الأصغر لعبد العال باشا دسوقی زعیم الوفد الشهیر الذی کان وزیرا للحکومة عصر الملک فاروق للدورات المختلفة ومن کبار الأثریاء قبل الثورة ویمتلک أکثر من خمسة آلاف فدان من الأراضی الزراعیة المرغوبة. ولکنه مع الأسف بعد الثورة ۱۹۵۲م، تمّ القبض علیه و تقدیمه إلی المحکمة رغم أن التهمة بالفساد لم تثبت علی القاضی ولکن الحکومة أخذ منه معظم أراضیه ووزعتها علی الفلاحین. وبعد قلیل من هذه الحادثة توفی عبدالعال باشا متأثرا بما جری. (الأسوانی، ۲۰۰۲م: ۹-۱۰)

حیاة زکی الدسوقی الشخصیة

رحل زکی بک إلی فرنسا للدراسة وتعلّم الهندسة فی جامعة باریس وبعد رجوعه إلی مصر بسبب حبه للوطن لم یواصل عمله فی الهندسة واشتغل باللهو واللعب مع ما

ترک له الأب من الثروة. كان لزكى دسوقى مكتبا فى عمارة يعقوبيان افتتحها والده من زمان وتحول إلى مكان يقضى فيه وقت فراغه ويلقى أصدقاءه وعشيقاته وبهذا السبب لم يتزوج. فكان واحدا من السكان القديمة لعمارة يعقوبيان وهو بالنسبة لسكان شارع سليمان باشا (طلعت حرب) شخصية فلكولورية. كان له علاقة حميمة مع الناس كلهم من ماسحى الأحذية والمتوسلين وعساكر المرور حتى البوابين والشباب وأصحاب المحلات ... وكل يوم عليه أن يحيى جميعهم فى الشارع. كان مهتما بملابسه وأنيقا ويظهر ببدلته الكاملة صيف شتاء ومنديله المكوى بعناية المتدلى دائما من جيب السترة بنفس لون ربطة العنق ... كان له خادم اسمه آبسخرون الذى خدمه أكثر من عشرين سنة.

لم ينجح زكى فى العثور على المناصب الحكومية بسبب ما حدث لوالده فيقضى أوقاته بمكتبه فى عمارة يعقوبيان بقراءة الصحف والمجلات ولقاء الأصدقاء أو عشيقاته وارتشاف القهوة وبعض الأحيان كان يجلس فى شرفته وينظر إلى المارة والسيارات فى شارع سليمان باشا. فى الحقيقة يقضى الأيام بدون هدف. (نفسه: ٩-١٦) إن الروائى يعرّفه للمخاطب عبر معاملاته مع الناس وآرائه بصورة غير مباشرة حيث يشير إلى أنه يمشى مسافة بين بيته ومكتبه فى عمارة يعقوبيان التى لا تتعدى مائة متر يقطعها فى ساعة يعنى أنه ذا خلق حسن ورقيق القلب مع الناس. وأيضا يستعين الأسوانى من مونولوج عنه وينتقل إلينا أزمته الداخلية وهى وحدته وعدم تزوجه فهو إنسان لطيف ومحب الفقراء والمساكين ويساعدهم رغم أنه ليس ملتزما بالصلاة: «لو أنه تزوّج لما شعر بهذه الوحدة المؤلمة القاتلة ... أنا موتى قريب ... كيف تكون النهاية؟! ... أيكون الموت بمثابة نوم طويل لايفيق الإنسان منه أبدا؟ ... هل يعذّبه الله بعد الموت؟! ... إنه ليس متدينا ولا يصلّى ولا يصوم صحيح ... لكنه حياته لم يؤذ أحدا، لم يغش ولم يسرق ولم يعتد على حقوق الآخرين ولم يتأخر أبدا عن مساعدة الفقراء باستثناء الخمر والنساء، لايعتقد أنه ارتكب ذنوبا بالمعنى الحقيقى.» (الأسوانى، ٢٠٠٢م: ١٥٧-١٥٨) يعتبر الكاتب عقوبة الغش والسرقة واستغلال الآخرين والظلم والتعدى على الناس أكثر من ترک الفرائض الدينية ويمكن القول إنه يهجم على الأوساط الدينية المصرية لعدم تعليم الدين الحقيقى للمسلمين. وبعد شعوره هذا بالوحدة فى حياته، يواجه زكى

الدسوقی فتاة محترمة ومؤدبة "بثینة" ولایتطرق الروائی إلی التفاصیل بجسم البثینة کما کان سابقا ویشیر إلی ملابسها البیضاء والخضراء فقط، کأن تواجدها نور استضاء قلب زکی المتعب والقانط. (شکری، ۱۳۹۵ش: ۲۲-۲۳)

اهتمامات زکی الدسوقی الشخصیة

بما أن زکی الدسوقی عاش ودرس بفرنسا فمن الطبیعی أن یستلهم بالمعاییر الفرنسیة فی حیاته، فتشیر بثینة إلی هذا الأمر: «أنا لاحظت أن حضرتک عایش زی الأجانب بالضبط.» (الأسوانی، ۲۰۰۲م: ۱۹۱) ولکنه رغم هذا، یتعشق کثیرا بمصر وهذا کان سببا لمراجعته إلی الوطن الحبیب. «عارفة یا بثینة ... أنا باحس أن عمارة یعقوبیان ملکی ... حاسس أن عمری من عمرها، یوم ما تنهدّ العمارة دی أو یجری لها حاجة أنا ها أموت فی نفس الیوم.» (نفسه: ۲۳۲) وإن مشاعره الوطنیة والقومیة من سماته المیزة والتی تجعله یفکر بالعودة إلی الوطن ویفضّله علی الرفاهیة بفرنسا.

النقطة الأخری لحیاته هی أنه من معارضی الثورة وحکومة جمال عبدالناصر: «أنا عشت أیاما جمیلة بمصر ... مصر کانت زی أوروبا ... وکان فیها الأجانب ... عبدالناصر طردهم سنة (۱۹۵٦م) ... عبدالناصر أسوأ حاکم فی تاریخ مصر کله ... ضیع البلد وجاب لنا الهزیمة والفقر ... التخریب اللی عمله فی الشخصیة المصریة محتاج سنین طویلة لإصلاحه ... عبدالناصر علّم المصریین الجبن والانتهازیة والنفاق ... اللی یحبّ عبدالناصر إمّا جاهل أو مستفید ... .» (نفسه: ۲۲۸-۲۲۹) فیمکن القول إن انقلاب (۱۹۵۲م) بأیدی الضباط الأحرار وبزعامة جمال عبدالناصر الذی أدّی إلی سقوط حکومة الملک فاروق له أثر کبیر فی حیاة زکی الدسوقی وغیّر مسیرته. واعتبر الأسوانی هذا الانقلاب وزعیمه عبدالناصر سبب تخلف البلد وکل مشاکله عبر کلام زکی الدسوقی. (گنجیان‌خناری، ۱۳۹۲ش: ٦٤-٦٥)

زکی رستم (الشخصیة الحقیقیة) ۱۹۰۳-۱۹۷۲م

حیاته الشخصیة

زکی رستم الفنان الشهیر المصری المعاصر وُلد فی ۲۵ مارس (۱۹۰۳م)، فی قصر

جده اللواء محمود رستم باشا بحى الحلمية. كان يعيش فى عائلة ارستقراطية وكان ابن البشـوات. كان والد الفنان زكى هو محرم بک رسـتم سياسـياً بارزاً وكان عضوا مهما فى الحزب الوطنى وصديقاً شـخصياً للزعيم مصطفى كامـل والزعيم محمد فريد وكان مـن كبار ملاک الأراضى الزراعية، فتوفى والده وهو كان شـابا. فبعد أن نال شـهادة البكالوريا قرّر قرارا غيّرت حياته. (محبوب، ٢٠٢٢م: صوت الأمة)

كانت من سـنن العائلات الأرسـتقراطيات مواصلة الدراسـة فى فرع الحقوق أو الطب ولكنه لم يسلک هذه الطريقة المتداولة فرفض استكمال مشواره التعليمى والتحق بالفريـق الفنى. الأمر الذى أصاب والدته بحزن شـديد، لأنها كانت تتمنى له الالتحاق بكلية الباشـوات فى الفن أو اسـتكمل الدراسـة بكلية الحقوق. فخيّرته أمّه بخيارين: مواصلة السـنن العائلية بدراسة الحقوق أو الطرد من العائلة والالتحاق بالفن والتمثيل وأخـيرا اختار الفن وهذا القرار المفاجئ سـبّب الحـزن والألم الكثير لأمه وأدّت إلى شللها وتوفيت بعد فترة قصيرة ... . (عزالدين، ٢٠٢٢م: الوطن)

حياته الفنية

وصفته مجلة لايف الأمريكية أنه من أكبر ممثلى العالم الشرقى وهو كالممثل البريطانى الكبير "تشارلز لوتون". بدأ حياته السينمائية بمشاركته فى الفيلم الصامت "زينب" وبلغ رصيد أفلامه إلى ٢٤٠ فيلما، ولكن المشـهور منها والموجود ٥٥ فيلما، بينها: "العزيمة" عـام (١٩٣٩م)، "زليخة تحب عاشـور" عـام (١٩٣٩م)، "إلى الأبد" عـام (١٩٤١م)، "الشرير" عام (١٩٤٢م)، و"عدو المرأة" عام (١٩٤٦م)، وآخر أفلامه "إجازة صيف" عام (١٩٦٧م).(كان له موقف وطنى شـجاع بالنسـبة للعرب والوطن العربى وعندما رفض عرض شـركة "كولومبيا للإنتاج السينمائى" للمشاركة فى بطولة فيلم عالمى، سألوه عن سبب الرفض بقوله غاضبا: «كيف أقبل العمل بفيلم يعادى العرب!! .. هذا أمر مرفوض على الإطلاق.» (دوارة، ٢٠١٩م: مسرحنا)

كان فنانا بارزا ويتجسـد فى أدواره وعُرف باسـم "رائد مدرسـة الاندماج"، كأنه يسـتغرق فى أدواره ويتحول إلى شـخص جديد واشـتهر بلقب ابن الباشـوات وفى

الأوساط الفنية كان يطلق على زكى رستم "زكى بک". إن عمارة يعقوبيان اكتسبت شهرة عالمية بعد كتابة رواية الروائى علاء الأسوانى وازدادت شهرتها بعدما تحولّت إلى فيلم سينمائى عام (٢٠٠٦م). ولكن العمارة لم تكن مجهولة من قبل لأن الفنان البارز والشهير زكى رستم يعيش بمفرده مع كلبه فى شقة فيها حوالى ثلاثين عاما ولم يكن معه سوى خادمه العجوز الذى قضى أكثر من ثلاثين عاما فى خدمته. (عونى، ٢٠٢١م: البلد)

زواجه ونهاية حياته

قرّر زكى رستم أن لا يتزوج طيلة حياته بعدما انتحرت حبيبته خوفًا من رفض أسرتها زواجها منه وبقى فى حياته أعزب. ومع ذلک كان أنيقا ومتعارفا بين سكان وسط البلد خلال حياته ويخرج لتناول الغذاء والعشاء فى أفخر مطاعم المنطقة فإنه ليس بخيلا وعدم زواجه قرار شخصى اتّخذه فى حياته. كان إنسانا حنونا وطيبا بالنسبة للآخرين ولكنه يحب العزلة وبعد كل مشروع سينمائى وكل تصوير تنقطع علاقاته مع زملائه. لم يكن الفنان زكى رستم من الشخصيات التى يطلق عليها اجتماعية حيث كان لا يحب الخروج أو السهر حتى أنه كان يعيش بمفرده فى شقته. كان عبقريا فى فنه وأعطاه الرئيس جمال عبدالناصر وسام الجمهورية للعلوم وكان مسرورا بأخذه من يد رئاسة الجمهورية. (يوسف، ٢٠٢٠م: الجريدة) عانى زكى رستم فى أوائل الستينيات من ضعف سمعه ويفكّر أن يزول بعد كم يوم أو بعد الاستراحة ولكنه مع الأسف فقده تماما وجعله أن يترک عمله الفنى واختار العزلة بعيدا عن الشاشات والأضواء والمقابلات والسياسة. هذا الفنان كان ثريا وادّعت ابنة شقيقته ليلى رستم: «كان زكى رستم إنسانًا غير عادى، فنانًا بمعنى الكلمة، لكن الرئيس عبدالناصر أخذ نصف ثروته بعد وفاته وبعدها تخلّى زكى عن النصف الآخر للفن.» لم نعثر على مكتوب بالمجلات والمواقع العربية إيجابا أو نفيا لهذا المدعى. بقى الفنان الكبير فى حياته معزولا عن الناس حتى أصيب بالأزمة قلبية حادة وتوفى إثرها وفى منزله وحيداً ولم يكن معه سوى خادمه والكلب الذى يرافقه طيلة الوقت، وللأسف الشديد لم يحضر جنازته أى شخص من الوسط الفنى. (مصطفى، ٢٠١٧م: المصرى اليوم).

المحاكاة فى خلق الشخصية الروائية

كلمة mimesis يونانية وبمعنى التقليد والتخييل وايضا تمّت ترجمتها إلى المحاكاة. المحاكاة فى اللغة العربية وهى مصدر من فعل حَاكى أى فعلَ نفس الفعل والمحاكاة يعنى المماثلة والمشابهة فى القول والعمل. استخدم أفلاطون كلمة التقليد لأول مرة فى كتاب الجمهور أى تقليد الفنان وخاصة الشاعر للطبيعة فى إبداع عمله واعتقد أرسطو أن الواجب الرئيسى للتقليد هو إظهار الشؤون العامة والعالمية. فللمحاكاة معنيان: أولاً؛ الانتباه إلى الواقع، لأن الواقع يستحق الانتباه إليه والثانى هو إن الأدب استكشاف للآثار أو العواقب المترتبة على أفعال الإنسان وتصوراته. فالمحاكاة أسلوب لدراسة المفاهيم المقبولة فى الواقع وتحديها. (مدرسى، ١٣٩٥ش: ٢١٨) الأدب هو المحاكاة والتقليد للأشياء، والفنان يعيد خلق العالم من حوله باستخدام خياله، فالفن تقليد لأفعال الإنسان. (ميرصادقى-ذوالقدر، ١٣٧٧ش: ٢٣٧) بناء على نظرية المحاكاة يمكن القول إن الأسوانى كان له اتجاهان بالنسبة لاسم الرواية والحقيقة الخاصة به، أولا أن اختيار اسم الرواية المأخوذ من اسم عمارة حقيقية وموجودة بالبلد وصارت أساسا للرواية وثانيا امتزاج الأحداث الواقعية مع خيال الكاتب بحيث يصعب على القارئ التمييز بينهما، وهذه إحدى نقاط القوة فى الرواية. ومع هذه البداية القوية استطاع الروائى أن يرسم مسيرة القارئ بين الواقعية والخيال، فتارة يقرّبه إلى الحقيقة بذكر خلفية بناء العمارة وخصائصها الفنية وتارة يقربّه إلى الخيال بظهور الشخصيات الروائية.

«فى عام (١٩٣٤م) فكّر المليونير هاجوب يعقوبيان عميد الجالية الأرمنية فى مصر آنذاك فى إنشاء عمارة سكنية تحمل اسمه فى شارع سليمان باشا ... وقد سكن فيها وزراء وباشوات من كبار الأقطاعيين واثنين من مليونيرات اليهود ... .» (الأسوانى، ٢٠٠٢م: ٢٠-٢٦)

والكاتب طرح القضايا المهمة والصعبة لمجتمعه بذكائه الاجتماعى وخبرته على أساس أحداث تتعلق بالعمارة، ومن خلالها انتقد الوضع الراهن والأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية نقدا مرا وصريحا، مقسما ظروف المجتمع المصرى إلى ما قبل انقلاب الضباط وما بعده، الانقلاب الذى امتدّت آثاره السيئة حتى زمن الرواية.

فاسم "عمارة یعقوبیان" یثیر التساؤل فی ذهن الجمهور: هل أحداث الروایة حقیقیة أم خیالیة تماما؟ ویشتدّ هذا الغموض عندما نواجه بشخصیة زکی الدسوقی الذی یشبه واحدا من سکان العمارة الحقیقیین وهو زکی رستم الذی عاش سنوات طویلة فیها حتی توفی. کان زکی رستم من نجوم السینما المصریة ومن الأعلام البارزة فی العمارة. وهذا التشابه هو النقطة الثانیة فی الروایة التی تعزز الغموض فی ذهن القارئ بین الحقیقة والخیال.

یمکن القول إن نظریة المحاکاة التی طرحها أفلاطون وواصلها أرسطو وطوّرها، أوجدت الترابط بین علم الاجتماع والأدب. وبمعنی آخر إن المحاکاة تقلید لمظاهر الطبیعة والحیاة لما فیها مع نکهة الإبداع.

فالیونانیون الکبار من أوائل الذین صرّحوا بذلک أی الصلة بین الفن والمجتمع والفلاسفة المسلمون اتبعوا هذه النظریة کالجاحظ والفارابی وابن الرشد و ... ولکن أصبحت النظریة أکثر تطورا فی القرن العشرین. فاتفق الکثیر من الأدباء والفلاسفة أن العلاقة بین الأدب والمجتمع علاقة متقابلة ولها تأثیر وتأثّر.

رأی أفلاطون أن العالم ینقسم إلی قسمین: مثالی ومادی. فالعالم المثالی عالم نقی وخالص وخال من السمات السیئة کالأزمات الاقتصادیة والسیاسیة والاجتماعیة وبالمقابل ملیء بالسلم والصحة، وأما العالم الطبیعی والمادی فهو العالم الذی نحن فیه وصورة مشوهة وناقصة عن العالم المثل الذی خلقه الله. ووفقا لنظریة أفلاطون إن کل فن مبنی علی التقلید کعالمنا هذا الذی تقلید لعالم المثل. فتاریخ المحاکاة یعود إلی الزمن القدیم الذی بدأ الإنسان وتعلّم أن یعبّر عن أفکاره ومشاعره بصور متخیلة. (منتظری وآخرون، ۱۳۹۱ش: ۱۵۶-۱۵۹) التقلید ممتع بطبیعته لأن رؤیة تلک الصورة تعطی معرفة بواقعها ویظهر الفنان ما یراه أکثر أو أقل من الواقع. فاختار الأسوانی بخبرته وذکائه اسم إحدی شخصیات روایته، أحد المقیمین الحقیقیین فی عمارة یعقوبیان وفی هذا المجال، اعتمد نهجین: أولاً: الرسم الأولی وتمثیل الشخصیة الخیالیة لزکی الدسوقی بناءً علی العدید من النقاط المشترکة مع الشخصیة الحقیقیة لزکی رستم، ثانیاً: تلقین زکی الدسوقی بأفکار المؤلف وأهدافه لکتابة الروایة.

اختار الروائى اسم زكى الذى كان مشابهًا لاسم زكى رستم وهو من أشهر ممثلى السينما المصرية ويصنّف من النجوم البارزة فى السينما الدولية وكان أحد المقيمين الحقيقيين فى عمارة يعقوبيان، البناء المعروف على نطاق واسع فى المجتمع المصرى. واستفاد الأسوانى من بعض خصائص عائلة زكى رستم لتشكيل الشخصية الخيالية لزكى الدسوقى.

كان زكى رستم من عائلة بشوات مشهورة، وخلافًا لتقاليد الأسرة، اختار التمثيل وأصبح أحد نجوم السينما المصرية ولكنه فى الوقت نفسه، كان شديد الميل للعزلة وفضّل البقاء بمفرده بعد انتهاء كل مشروع سينمائى وكان أحد السكان الحقيقيين فى عمارة يعقوبيان وعاش هناك حتى وفاته، وكانت سيرته هذه الأساس الذى اعتمد عليها الروائى ليخلق شخصية زكى الجديدة، وهى شخصيةٌ كانت مهمتها التعبير عن أفكار المؤلف بطريقة جميلة وغير مباشرة لانتقاد المسؤولين الحكوميين.

عبّر المؤلف عن أفكاره بطريقة إبداعية للغاية حول أسباب ازدهار مصر فى الماضى وتخلفها حاليا، من خلال قصة حياة الشخصية الروائية زكى الدسوقى وتقسيمها إلى قسمين رئيسيين: حقبة ما قبل انقلاب الضباط والتى تشمل الطفولة والمراهقة والدراسة فى فرنسا واستغلال فرص العصر ونمط الرفاهية فى الحياة، ثم حقبة ما بعد انقلاب الضباط، والتى تتضمن ارتباكا وحيرة وضياعا فى الحياة، مع عجزه عن العثور على وظيفة مناسبة أو على دور اجتماعى بارز، ومرارة الصراع مع أخته دولت على ميراث الأسرة ... .

كان زكى الدسوقى رمزا لرجل فاشل حصر أسباب مشاكله بانقلاب الضباط بقيادة جمال عبد الناصر، ويشير الروائى بعناية إلى هذه النقاط فى كل مرحلة من مراحل حياة زكى: «زكى بک من أقدم سكان شارع سليمان باشا وجاء إليه أواخر أربعينات بعد عودته من بعثته فى فرنسا ... كان شخصية فلكلورية محبوبة ويظهر عليهم ببدلته الكاملة ... ومنديله المكوى بعناية المتدلى دائما من جيب السترة بنفس لون ربطة العنق ... وما إن يظهر فى أول الشارع تتعالى تحيات الصباح من كل صوب... .» (الأسوانى، ٢٠٠٢م: ٩-١٠) إن إشارة الروائى إلى دراسة زكى فى فرنسا ثم وصف مظهره وأناقته وحسن خلقه واهتمامه بأبناء البلد ساقها كدليل للايحاء أن سبب هذه السلوكيات الممتازة هى

دراســته ونموه فکریاً فی فرنسا کما أشار فیما بعد إلی أن سبب البؤس والفقر ومشاکل مصــر هو ابتعادها عن ثقافة فرنســا الممتازة: «مصر کانت زی أروبــا... نظافة وإناقة والناس مؤدبة ومحترمة ... مصر کان فیها أجانب کثیر ... معظم السکان فی وسط البلاد کانوا أجانب لغایة لما طردهم عبدالناصر ... طردهم سنة ٥٦ ... .» (نفسه: ۲۲۸) ویورد الأسوانی میزته السلبیة، وهی حقیقة أنه زیر النساء وهوسه الکبیر بالجنس بعد توصیفه بالســمات الإیجابیة لیخفف من تأثیرها الســلبی علی الشخصیة: «عندئذ یستعین زکی بک بدائرة معارفه الجنســیة الجبارة ویشرح للشباب باستفاضة وتلذذ وصوت مسموع للجمیع أدق الأسرار الجنسیة بل أحیاناً یطلب ورقة لیرسم بوضوح بعض المشاهد... .» (الأسوانی، ۲۰۰۲م: ۱۰-۱۱) أی حتی لا یعتبر الناس تلک السمة السیئة شیئا قیاساً لخصائصه الأخری الجیدة.

وهکذا یری الروائی أن بعض الذنوب فی المجتمع أقل ضرراً بالنسبة للآخرین وإن اعتبرها الکثیرون خلاف ذلک. إن انقلاب الضباط تسبب بأضرار وخسائر علی حیاة الناس والکاتب یمثّله بین خطوط روایته ویصرح علی أنه غیّر مسیرة حیاة بعض الناس حتی دمّر ســعادتهم فیشرح هذه الکارثة بحیاة دولت شقیقة زکی الدسوقی علی لسانه. «... بعد الثورة أحیل زوج دولت إلی التقاعد لعلاقته الوطیدة بالاسرة المالکة ولم یلبث أن مــات فجأة ... ثم غــادر ولدیها مصر کمعظم أبناء جیلهما ... لأن ظروف مصر کانت سیئة جدا ... وبقیت دولت وحیدة ... وتحولت أخته الحبیبة إلی هذه العجوز الکریهة ... .» (نفســه: ۹٤) وبالتالی لو لم یحدث الانقلاب لما اضطر زوج أختها للتقاعد ثم للموت قبــل الأوان! ولو لم یکن هناک انقلاب، لما کان الوضــع الاقتصادی للبلاد کارثیا، ولما ذهب أبناء أخته إلی الخارج، ولم تکن لتُترک وحیدة حزینة ومکتئبة! وحمّل المؤلف مرة أخری عبد الناصر الذی قاد الانقلاب، مســؤولیة مغادرة الشــباب البلادَ والأزمة التی خلقت لعائلاتهم والبطالة القسریة لمن یمکن أن یکون مفیدا للبلاد.

المحاکاة مسافة بین الفن والسرقة

المحــاکاة بالنظرة الأولی هی التقلید الفنی لما یعجبه الأدیب وإذا کان الأدیب یرفعه

مكانــة فهو محــاكاة وإذا يقلله بمجرد التقليد فهو ســرقة. عندما الأديب يقلّد شــيئا أو موضوعــا فعليه أن يكون معترفــا به تماما ولا يقلده لمجرد الكلمات بل عليه أن يعرضه مع عاطفته وبراعته فى اســتخدام المفردات والجمل المتناسبة مستعينا بالصور الجمالية والفنية. قد تردد مفهوم المحاكاة بين الفن والسرقة مجرد تقليد بدون أى تغيير سرقة ولكنه إذا صــار مزينا بالإبداع وما فى بال الأديب فيصبح محاكاة. (هدارة، ١٣٧٧ش: ١٢١-١٢٤) فــى الحقيقة إن المكان فى العالم الحقيقى يختلف عما يروى فى العمل الفنى وإن كان متفقا معه فى الاسم أو الوصف كما شاهدنا فى هذه الرواية فهو متخيل لفظى صنعه وخلقه خيال الروائى المبدع ورسم خريطة المكان بالكلمات.

اختار الأسوانى اسم عمارة يعقوبيان لعمله الأدبى ليس فقط كأثر تاريخى بل لأنها أحد العناصر المهمة فى الرواية، حيث انتهت كل أحداث شخصيات القصة إليها وكانت صلة الوصل بينها، فتداخــل القصص فى الرواية وكل قصة تؤدى إلى أخرى ومحورها هى العمارة، قاد إلى جعلها العنصر الأساســى الذى تتمحور حوله الرواية من البداية إلى النهاية.

المحاكاة والقوة المتخيلة

القوة المتخيلة فى الإنسان هى مركز مهم لإدراكه التى تتجلى كل تحاليلها وتراكيبها فى فلســفة الفن. فالقوة التخيلية تحلل الأشكال والمعانى، وبالتالى تخلق أشكالا جديدة يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة بمعنى أن يكون مثله فى الخارج أو لا. ولهذه القوة واجبة أخرى وهى المحاكاة أى التقليد من العالم الخارج ويعتبر المحتوى فيها عنصرا أساســيا. فعلــى الفنان أن يمزج الصور الخارجية مع أفــكاره الداخلية ويحاكى. ويمكن القول إن نطــاق التقليد هو الكون كله. وهناك الفرق بين المحاكاة والمغالطة رغم تواجد التشــابه بينهما. فكلاهما لايعرضان الحقيقة للمخاطب ولكن الفرق بينهما هو أن المغالطة ترشــد المخاطــب إلى الخلاف وتجعل غير الموجــود موجودا له. وأما المحاكاة فتهدى المخاطب إلى شــىء مشــابه للحقيقة لا خلافها كالمرآة فالذى ينظر إلى الأشياء من داخل المرآة يراها وإن كانت غير حقيقية ولكنه ما يراها ليست خلاف الحقيقة بل جزء منها. فالعمل

الفنـــی لیس مجرد فکرة، ولکن له علاقة مثالیة بالواقع وقد اســـتخدم الحقیقة إلی أقصی حد. (بازرگانی، ۱۳۹٤ش: ۷۱-۷۳)

إن المحـــاکاة عموما تبنی علی فکـــرة المماثلة بین العمل الفنـــی والحقیقة وکل فنان یستخدمها فی فنه. علی سبیل المثال إن الوسام عندما یرسم لوحة جمیلة فیقوم بمحاکاة حقیقیة أو یرسم شـــیئا فی بیئته الطبیعیة فلهذا الفن أدوات ضروریة کالأقلام والألوان وصفحة الرسم. أو الشاعر عندما یصف شخصا أو شیئا أو مشهدا فیقوم بعملیة المحاکاة وأدواته هی الکلمة والوزن واللحن أو الروائی عندما یکتب روایة عما یشـــبه الواقعیة فیقوم بالمحاکاة أیضا ویســـتلهم الحقیقة الموجودة فی سرده کما فعل علاء الأسوانی فی روایـــة عمارة یعقوبیان لخلق أحد أبطاله وهو زکی الدســـوقی واســـتلهم من شـــخصیة الفنان الکبیر زکی رســـتم. ومن هذا المنظر یمکن دراســـته من ناحیة النقد الخیالی وهو دراسة العمل الفنی والأدبی مقارنة مع العالم الحقیقی وهذا الأسلوب فی النقد أصبحت جوهـــر النظریة الجدیدة للواقعیة الأدبیة. (فضیلت، ۱۳۹۰ش: ۸۸) ورغم التشـــابهات التـــی یمکن رؤیتهـــا بینهما ولم یکن هناک خیار أمام المؤلف ســـوی ذکرها للدخول فی القصة -ســـتأتی وجوه التشـــابهات والاختلافات بینهما فیما بعد- لکن بإبداعه العالی یرســـم زکی الدســـوقی فی مرآة الروایة کما یریده ویربط الأحـــداث الحقیقیة فی بلده مصر بحیاته ویعبر به عن تفســـیره لها. یمثل الدســـوقی الأشـــخاص المحبطین والفاشلین فی المجتمع المصری الذین یلومون الآخرین باســـتمرار علی وضعهم ولا یبذلون الجهد اللازم لتغییر حیاتهم أو تطورها.

«... یفکـــر أحیانا أنه قلیل الحظ منذ مولده ... لو أنه ولد قبل خمســـین عاما لتغیرت حیاته تماما ... لو أن الثورة فشـــلت ... لو أن الملک فاروق أسرع بالقبض علی الضباط الأحرار ... لما قامت الثورة ولعاش زکی حیاته الحقیقیة الجدیرة به ... وسیتولی الوزارة ... .» (الأسوانی، ۲۰۰۲م: ۲۵٦) وعبر لسان بطل الروایة یتهجم علی المجتمع المصری الذی یدعی التدین والســـلوک الدینی وفیه جامع الأزهر وکثیر من رجال الدین ورغم هذا کله یعانی البلد من الفســـاد والارتشـــاء وانتهاک حقوق الناس، فأی الذنوب أکبر مـــن هذه الأمور؟ وهذا یعنی أن الجهات المعنیة والدینیة لم تقم بواجباتها. «... إنه لیس

متدينا ولا يصلى ولا يصوم صحيح ... لكنه طيلة حياته لم يؤذ أحدا، لم يغش ولم يسرق ولم يستول على حقوق الآخرين ... باستثناء الخمر والنساء! ولا يعتقد إنه ارتكب ذنوبا بالمعنى الحقيقى ... .» (نفسه: ١٥٨)

نظرية الواقعية

من النقاط المهمة فى تكوين مدرسة أدبية كيفية دخول هذا المصطلح إلى عالم الأدب وما هى الشروط التى تم توفيرها لهذا الوجود. فالواقعية هى إحدى المدارس التى كانت موجودة فى عالم الفن قبل أن تصبح مصطلحًا أدبيا. على ما يبدو، تم استخدام "الواقعية" لأول مرة عام (١٨٣٥م)، كوصفة جمالية لتمييز "الواقع البشرى" فى لوحات رامبرانت [فنان هولندى فى القرن السابع عشر] من "الخيال الشعرى" للرسامين الكلاسيكيين الجدد، ثم وبعد تأسيس مجلة تسمى الواقعية عام (١٨٥٦م)، أصبحت مصطلحًا أدبيا. (پاينده، ١٣٩٩ش: ١٣) وكان فى هذه الفترة، أصبحت الواقعية فى الأدب منهجا علميا يهتمّ به الآخرون وخاصة الكتّاب العظام.

ظهرت الواقعية كنهج أدبى فى منتصف القرن التاسع عشر احتجاجا على المدرسة الرومانسية فى فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة. وتمّ تأسيس هذه المدرسة الأدبية بأيدى بالزاک فى فرنسا، وجورج إليوت فى إنجلترا، وويليام دين هاولز فى أمريكا بأعمالهم الأدبية. (داد، ١٣٧٨ش: ٢٥٧) الواقعية هى رؤية حقائق الحياة ووصفها واختيار الأبطال للأعمال الأدبية، وبمعنى آخر، البحث فى القضايا الحيوية التى تتواجد وراء المظاهر كما أن مهمة الكاتب الواقعى وأتباع المدرسة الواقعية هى فصل هذه الحقائق عن الخيال. (اليوت، ١٣٧٥ش: ٢٧٩) تعتبر رواية عمارة يعقوبيان عملاً واقعياً حسب مجريات أحداثها، وعلى الرغم من أن مهمة هذه المدرسة الأدبية هى انعكاس الحقائق، إلا أن فكر المؤلف وميله يؤثران تلقائيا فيها، ونموذج بارز على هذا المدعى هو انتقاد زكى الدسوقى الصريح والقاسى لجمال عبد الناصر الذى يعتبره حرفيا مسؤولاً عن تخلف المجتمع المصرى والفقر والقنوط فيه. «... عبدالناصر أسوأ حاكم فى تاريخ مصر كله ... ضيع البلد وجاب لنا الهزيمة والفقر... علّم المصريين الجبن والانتهازية

والنفاق... .» (الأسـوانی، ۲۰۰۲م: ۲۲۹) ویسمّی دعاة عبدالناصر وتابعیه جاهلین أو مستغلین: «اللی یحب عبدالناصر إما جاهل أو مستفید ... .» (نفسه: ۲۲۹)

صحیـح أن الروائی یعبر عن الواقع القائم للمجتمع، ولکنه یدخل عن وعی أو غیر وعی وجهة نظره السـلبیة بالنسبة للرئیس جمال عبدالناصر وعلی سبیل المثال لم یذکر تأمیم قناة السویس الذی یعتبر من أهم منجزات عبد الناصر وکان هذا الأمر ذا أهمیة بالغة للمواطن المصری وإذا کان الرئیس عبد الناصر بهذا السوء فکیف تمکّن من حشد حوالی خمسة ملایین مصری فی مراسیم تشییع جثمانه الذی تمّ تسجیله کأکبر مشارکة جماهیریة فی تشییع جنازة فی التاریخ، فی ذلک الوقت.

أتباع مدرسة الواقعیة یعرضون الجوانب المألوفة والعادیة للحیاة وهدفهم هو البحث عن المیزات الحقیقیة لکل شـیء والتعبیر عنها وعـن العلاقات الداخلیة بین ظاهرة أو ظواهـر أخری. (میرصادقـی، ۱۳۷۷ش: ۲۸۵) فی الواقـع، إن القصص الواقعیة ولو فی أشـکاله أکثر تقلیدیا، لیست انعکاسا للواقعیة بل أثر الواقع الخارجی ببال الکاتب والروائـی وإبداعه علی الحقائق یؤدّی إلی خلق الظاهـرة الفنیة والعمل الأدبی. «إن أسـاس الواقعیة هو التحلیل الاجتماعی ودراسـة الحیاة البشـریة وتجسید العلاقات الاجتماعیـة وبالأحری العلاقة بین الفرد والمجتمع.» (سـاچکوف، ۱۳٦۲ش: ۲۰) فی الحقیقـة دخلت الواقعیة مجال الأدب والفن عندمـا أدرک الناس ضرورة التعرف علی القوی المؤثـرة فی عملیة العوامل الاجتماعیة و تُعدّ ضروریة لکل شـخص. (رافائل، ۱۳۵۷ش: ۱۲)

یأخـذ الأدیب الواقعی موضوعه من المجتمع ویکـون متفرجا عند إنتاج عمله ولا یضیف أفکاره وآرائه الشـخصیة إلیه ولکنه فی الوقت نفسـه، یحاول أن یجعل القارئ یشعر المشـاعر الحقیقیة الموجودة فیه وطبعا یتم التترکیز کثیرا فی هذه المدرسة الأدبیة علی أن المؤلف مجرد ناقل للواقع ولکنها یتم التعبیر بلغة الإنسـان وبالطبع کل شـخص یسـتنبط الواقع بطریقته الخاصة ولهذا السـبب إن اتجاه الأدیب له أثر فیه. علی سبیل المثال، تشارلز دیکنز الرجل الذی نشأ فی الطبقات الدنیا من المجتمع البریطانی ولکنه کان متفاعلا وراجیا للمسـتقبل، فیصور تلک الطبقات بلغة فکاهیة فی أعماله ویعتقد

أن القلب النقى سيقلل من الآلام العميقة والمعاناة، وعلى شخصياته أن لن تفقد آمالهم حتى فى أصعب الظروف. (مقدادى، ١٣٧٨ش: ٢٥٦) ويشير الأسوانى إلى قنوط الشباب من مستقبل البلاد ورغبتهم بالهجرة إلى الخارج كمشكلة أخرى أمام جيل الشباب، ويعتبرها من نتاج الديكتاتورية الحاكمة للمجتمع. الفكرة التى عشعشت فى عقول معظم الشباب فى دول العالم الثالث، وجعلتهم يعتقدون أن كل مكان غير بلادهم أفضل لهم، وهى فكرة خطيرة توقف نمو البلاد وتقود إلى انحدارها. يحكى الدسوقى مع بثينة: «أنتِ لسه كارهة البلد ...؟! أنا مش قادر أفهم الجيل بتاعكم أبدا ... على أيامى حب الوطن كان زى الدين ... شباب كثير ماتوا فى الكفاح ضد الإنجليز ... قالت بثينة: هل هم خرجوا؟... يعنى البلد انصلح؟... السبب فى تدهور البلد انعدام الديمقراطية ... أخو صاحبتى سافر هولندا وتزوج هناك ... بيقول ما فيش ظلم فى بلاد بره ولا افترا زى عندنا ... .» (الأسوانى، ٢٠٠٢م: ٢٨٢)

أهم ميزات الأعمال الواقعية هى أنها تعرّف الإنسان ككائن اجتماعى ويبحث فى المجتمع البشرى عن جذور وأسباب كل معاملاته الحسنة أو السيئة. وعموما يتم اختيار الشخصيات الرئيسية الروايات الواقعية من الطبقة الوسطى، الذين يمثلونهم فى التفكير. زكى الدسوقى شخص عالق بين التغريب والوطنية وبالرغم من أنه كان يستطيع أن يعيش عيشة مريحة فى فرنسا، إلا أنه عاد إلى مصر ويعشق الوطن مع مشاكله ومتاعبه ويرى عمارة يعقوبيان رمزا لمصر ويحبها كحبه لبلده: «عارفة يا بثينة ... أنا باحس أن عمارة يعقوبيان ملكى ... حاسس أن عمرى من عمرها، يوم ما تنهدّ العمارة دى أو يجرى لها حاجة أنا ها أموت فى نفس اليوم.» (نفسه: ٢٣٢)

الشكل الشائع للقصص الواقعية هى الروايات والقصص القصيرة، لكن الرواية، باعتبارها أهم شكل أدبى فى العالم المعاصر، وتكون منصة جيدة لخلق العديد من الروائع الأدبية. وحسب ما ذكرناه لبيان الواقعية كمدرسة أدبية فتعتبر "عمارة يعقوبيان" رواية واقعية لأنها تصور لنا عمارة مع سكان يمثل كل واحد منهم شريحة من المجتمع المصرى ويتطرق الروائى من نظرتهم إلى المشاكل الموجودة من الفقر والارتشاء واستغلال السلطة من قبل الحكومة والمثلية والمسافة البعيدة بين الأثرياء والبشوات

وبین عامة الناس. الواقعیة فی روایة عمارة یعقوبیان من خلال نسبة القصة إلی مکان حقیقی ووصفه کما هو فی الواقع، وحقیقة أن اسم إحدی الشخصیات الرئیسیة فی الروایة یشبه اسم أحد المقیمین الحقیقیین فیها، یخلق انطباعًا لدی القارئ بأن الأحداث المنسوبة إلی الشخصیات کانت أحداثًا حقیقیة وواقعیة، خلق المؤلف شخصیاته الخیالیة بناءً علی تصمیم شخصیات حقیقیة بحیث یکون لدی القارئ انطباع بأنها حقیقیة بالفعل. وکان الأسوانی ناجحًا جدًا فی هذا الاتجاه، ولعبت شخصیات الروایة دور الحیاة الحقیقیة للناس بشکل جمیل للغایة بدا معه وکأنهم کانوا یعیشون فی العالم الحقیقی وفی تلک العمارة وبالفعل.

وبالمزج الماهر بین الخیال والواقع حاول المؤلف أن یظهر أن هذه القصة وأحداثها الوهمیة حدثت فی العالم الحقیقی. إن الشخصیات الخیالیة فی الروایة وخاصة شخصیة زکی الدسوقی قریبة جدًا من سمات شرائح المجتمع الحقیقیة، وهذا الأمر یخلق الواقعیة ویخلق إحساسا بالهویة الذاتیة والتعاطف بین القارئ وشخصیات الروایة.

وبالنسبة لروایة الأسوانی، أصبح هذا الشعور قویاً للغایة بین القراء إلی درجة دفعته إلی الإشارة فی مقدمة الطبعة الجدیدة من کتابه إلی أن الأسماء الموجودة فی الروایة باستثناء اسم المبنی خیالیة! ولکن الدراسة بین شخصیتی زکی رستم وزکی الدسوقی تظهر نقاط تشابه وتطابق جدیرة بالعنایة.

فهناک نذکر وجوه التشابه والاختلاف بین الشخصیة الروائیة "زکی الدسوقی" والفنان الکبیر "زکی رستم" لدراسة درجة التأثر فی العمل الأدبی علی أساس نظریة التقلید والتمثیل.

زکی الدسوقی وزکی رستم (التشابهات والاختلافات)

التشابهات

کلاهما یسمّی "زکی".

کلاهما من عائلات معروفة وثریة فی القاهرة. (الدسوقی من کبار الأثریاء قبل الثورة- رستم من عائلة أرستقراطیة)

أبوا كليهما من السياسين البارزين. (كان زكى الدسوقى الابن الأصغر لعبد العال باشا دسوقى زعيم الوفد الشهير الذى كان وزيرا للحكومة عصر الملك فاروق للدورات المختلفة -كان والد الفنان زكى هو محرم بک رستم سياسياً بارزاً وكان عضوا مهما فى الحزب الوطنى.)

امتلک أبواهما الأراضى الكثيرة. (والد زكى الدسوقى يمتلک أكثر من خمسة آلاف فدان من الأراضى الزراعية المرغوبة- والد زكى رستم كان من كبار ملاک الأراضى الزراعية.)

لم يواصلا مسيرة والديهما فى السياسة والحكومة. (بعد ثورة ۱۹۵۲م، تمّ القبض على والد زكى الدسوقى وقدموه إلى المحكمة رغم أن التهمة بالفساد لم تثبت على القاضى، ولكنه أصبح سببا لتجنب زكى عن السياسة- توفى والد زكى رستم وهو شاب وبعد ذلک خالف مع سنن العائلة وتوجه نحو هوايته وهى الفن والتمثيل.)

كلاهما من أقدم سكان عمارة يعقوبيان. (كان زكى الدسوقى واحدا من السكان القدامى لعمارة يعقوبيان وهو بالنسبة لسكان شارع سليمان باشا شخصية فلكولورية-كان الفنان البارز والشهير زكى رستم يعيش بمفرده مع كلبه فى شقة فيها حوالى ثلاثين عاما.)

كان لهما خادمان يخدمانهما. (كان لزكى الدسوقى خادما اسمه آبسخرون الذى خدمه أكثر من عشرين سنة- لم يكن مع زكى رستم سوى خادمه العجوز الذى قضى أكثر من ثلاثين عاما فى خدمته.)

افتقدا الكثير من ثرواتهما بعد الثورة. (الحكومة أخذت من والد زكى الدسوقى معظم أراضيه ووزعتها على الفلاحين- هذا الفنان كان ثريا وادّعت ابنة شقيقته ليلى رستم: «كان زكى رستم إنسانًا غير عادى، فنانًا بمعنى الكلمة، لكن الرئيس عبدالناصر أخذ نصف ثروته بعد وفاته وبعدها تخلّى زكى عن النصف الآخر للفن.»)

استخدم الروائى اسم "زكى بک" لزكى الدسوقى - فى الأوساط الفنية كان يطلق على زكى رستم "زكى بک".

اختلافات

لم يكن يسكن زكى الدسوقى فى عمارة يعقوبيان، بل له مكتب افتتحها والده من

زمان وتحول إلى مكان يقضى فيه وقت فراغه ويلقى أصدقاءه وعشـيقاته. ولكن زكى رستم قد عاش فى العمارة ثلاثين عاما وكان واحدا من أسباب شهرتها.

كان زكى الدسوقى يقضى أياما باللهو واللعب دون أى عمل. ولكن زكى رستم كان فنانا بارزا ويتجسد فى أدواره وعُرف باسم "رائد مدرسة الاندماج"، كأنه يستغرق فى أدواره و يتحول إلى شخص جديد.

زكى الدسـوقى لم يتزوج بسـبب اهتمامه للعشـيقات والخمر والأصدقاء والترفيه. ولكن زكى رسـتم قرر أن لا يتزوج طيلة حياته بعدما انتحرت حبيبته خوفًا من رفض أسرتها زواجها منه وبقى أعزب طيلة حياته.

زكى الدسـوقى كان إنسـانا اجتماعيا ويمشـى مسـافة بين بيته ومكتبه فى عمارة يعقوبيان التى لا تتعدى مائة متر يقطعها فى ساعة ويحكى مع الناس كأصحاب المحلات والمارين. ولكن الفنان زكى رسـتم لم يكن من الشخصيات التى يطلق عليها اجتماعية ويحب العزلة وبعد كل مشـروع سـينمائى وكل تصوير تنقطع علاقاته مع زملائه، حيث كان لا يحب الخروج أو السهر حتى أنه كان يعيش بمفرده فى شقته.

النتيجة

كلمـة mimesis يونانيـة وبمعنى التقليد والتخييل وأيضا تمّـت ترجمتها إلى المحاكاة واسـتخدم أفلاطون كلمة التقليد لأول مرة فى كتاب الجمهور أى تقليد الفنان وخاصة الشـاعر للطبيعة فى إبداع عمله واعتقد أرسطو أن الواجب الرئيسى للتقليد هو إظهار الشـؤون العامة والعالمية. فالمحاكاة أوجدت الترابط بين علم الاجتماع والأدب وبمعنى آخر إنها تقليد لمظاهر الطبيعة والحياة لما فيها مع نكهة الإبداع. إن المحاكاة عموما تبنى على فكرة المماثلة بين العمل الفنى والحقيقة وكل فنان يسـتخدمها فى فنه. فعلى سبيل المثال إن الشـاعر عندما يصف شـخصا أو شيئا أو مشهدا يقوم بعملية المحاكاة وأدواته هـى الكلمة والوزن واللحن؛ أو الروائى عندما يكتب رواية عما يشـبه الواقعية فيقوم بالمحاكاة ايضا، كما فعل علاء الأسـوانى فى رواية "عمارة يعقوبيان" ويسـتلهم الحقيقة الموجودة فى سـرده لخلق أحد أبطاله وهو "زكى الدسـوقى" من شخصية الفنان الكبير

"زكى رستم" وقطف قطفات من حياته وامتزجها مع شخصيته الروائية وصرح آراءه ومعارضته لسياسات الحكومة عبر لغة الشخصية الخيالية ومن هذا المنظر يمكن دراسته من ناحية النقد الخيالى أو المحاكاتى وهو دراسة العمل الفنى والأدبى بالمقارنة مع العالم الحقيقى وهذا الأسلوب فى النقد أصبحت جوهرة النظرية الجديدة للواقعية الأدبية.

فالواقعية هى رؤية حقائق الحياة ووصفها واختيار الأبطال للأعمال الأدبية، وبمعنى آخر، البحث فى القضايا الحيوية التى تتواجد وراء المظاهر كما أن مهمة الكاتب الواقعى وأتباع الأسلوب الواقعى هى فصل هذه الحقائق عن الخيال. يأخذ الأديب الواقعى موضوعه من المجتمع ويكون متفرجًا عند إنتاج عمله ولا يضيف أفكاره وآراءه الشخصية إليه ولكنه فى الوقت نفسه، يحاول أن يجعل القارئ يشعر المشاعر الحقيقية الموجودة فيه وطبعا يتم التركيز كثيرا فى هذه المدرسة الأدبية على أن المؤلف مجرد ناقل للواقع ولكنها يتم التعبير بلغة الإنسان وبالطبع كل شخص يستنبط الواقع بطريقته الخاصة. الشكل الشائع للقصص الواقعية هى الروايات والقصص القصيرة، لكن الرواية، باعتبارها أهم شكل أدبى فى العالم المعاصر، وتكون منصة جيدة لخلق العديد من الروائع الأدبية.

وحسب ما ذكرناه لبيان الواقعية كمدرسة أدبية، فتعتبر "عمارة يعقوبيان" رواية واقعية لأنها تصور لنا عمارة مع سكان يمثل كل واحد منهم شريحة من المجتمع المصرى ويتطرق الروائى من نظرتهم إلى المشاكل الموجودة من الفقر والارتشاء واستغلال السلطة من قبل الحكومة والممثلية والمسافة البعيدة بين الأثرياء والبشوات وبين عامة الناس. تتشابه الشخصية الخيالية "زكى الدسوقى" أحد الشخصيات الرئيسية فى الرواية، مع الشخصية الحقيقية "زكى رستم" الفنان الشهير الفقيد الذى عاش فى عمارة يعقوبيان منذ سنوات عديدة، منها: الاسم والعائلة الأرستقراطية وابن البشوات وامتلاك الأراضى الزراعية وتفقد الثروة وعدم الزواج وتواجد الخادم و ...؛ ويبدو أن اختيار الاسم بسبب التشابه بين الشخصيتين الحقيقى والروائى ليس صدفة، وقد استخدم الروائى شهرة زكى رستم للتأثير فى الرواية إضافة إلى اسم الرواية.

المصادر و المراجع

مدرسی، فاطمه. (۱۳۹۵ش). فرهنگ توصیفی نقد ونظریه‌های ادبی. تهران: پژوهشگاه علوم انسانی.
فضیلت، محمود. (۱۳۹۰ش). اصول وطبقه‌بندی نقد ادبی. تهران: زوار.
الیوت، تی. اس. (۱۳۷۵ش). برگزیده آثار در زمینه نقد ادبی. ترجمه محمد دامادی. تهران: انتشارات علمی.
پاینده، حسین. (۱۳۹۹ش). نظریه رمان (از رئالیسم تا پسامدرنیسم). تهران: نیلوفر.
داد، سیما. (۱۳۷۸ش). فرهنگ اصطلاحات ادبی، واژه نامه مفاهیم و اصطلاحات فارسی و اروپایی به شیوه تطبیقی و توضیحی. تهران: مروارید.
رافائل، مارکس. (۱۳۵۷ش). نگاهی به تاریخ ادبیات جهان (تاریخ رئالیسم). ترجمه محمد تقی فرامرزی. تهران: شباهنگ.
ساچکوف، بوریس. (۱۳٦۲ش). تاریخ رئالیسم. ترجمه فرامرزی. تهران: نشر.
میرصادقی، جمال. (۱۳۷۷ش). واژه نامه داستان نویسی. تهران: کتاب مهناز.
مقدادی، بهرام. (۱۳۷۸ش). فرهنگ اصطلاحات نقد ادبی از افلاطون تا عصر حاضر. تهران: فکر روز.
الاسوانی، علاء. (۲۰۰۲م). عمارة یعقوبیان. قاهرة: مکتبة مدبولی.

المقالات العلمیة

الحفناوی، أمانی حافظ. (۲۰۲۱م). «هویة المکان فی روایتی "عمارة یعقوبیان" لعلاء الأسوانی و"لاسکالا" لنور عبدالمجید دراسة مقارنة». المجلة الدوریات المصریة. العدد ۲۹. ۳۷۰-۳۳۱
گنجیان‌خناری، علی و جمشیدیان، رضوان. (۱۳۹۲ش). «نقد جامعه شناسی عمارت یعقوبیان نوشته علاء الأسوانی». نقد ادب عربی. دوره ٤. شماره ۷. ۷۵-۵۸
منتظری، آزاده و خاقانی، محمد. (۱۳۹۱ش). «النقد الاجتماعی للأدب نشأته و تطوره». إضاءات نقدیة. السنة الثانیة. العدد٦. ۱۷۲-۱۵۱
بازرگانی، ابراهیم. (۱۳۹٤ش). «صوت انگاری معرفت و تاثیر آن در نظریه محاکات». خردنامه صدرا. شماره ۸۲. ۷٤-٦۱
هدارة، محمد مصطفی. (۱۳۷۷ش). «نظریة المحاکاة بین السرقة و الفن». المجلة. العدد ۱۷. ۱۲٤-۱۲۰

المواقع الإلکترونیة

بوظو، عماد. (۲۰۲۱م). «قصة أدیب عالمی محارب فی بلده». الحرة. ۱۱ اغسطس.
https://www.alhurra.com/different-angle/2021/08/11

محبوب، إيمان. (٢٠٢٢م). «ذكرى ميلاد زكى رستم "شرير السينما"». صوت الأمة. ٥ مارس.
http//www.Soutalomma.com

عزالدين، محمد. (٢٠٢٢م). «زكى رستم أشهر عازب فى السينما المصرية». الوطن.٥ مارس.
https://www.elwatannews.com/news/details/5979328

دوارة، عمرو. (٢٠١٩م). «زكى رستم، راهب الفن». مجلة مسرحنا. العدد ٦٣١. ٣٠ سبتمبر ٢٠١٩م.
www.gocp.gov.eg/masr7na/articles.aspx?ArticleID=22414

يوسف، هبةالله. (٢٠٢٠م). «راهب الفن زكى رستم عبقرية ممثل (الأخيرة)». الجريدة. ٢٩ آوريل ٢٠٢٠.

.aljarida.com/articles/1588077894977353900

مصطفى، نورهان. (٢٠١٧م). «قصة ضياع ثروة زكى رستم». المصرى اليوم. ٣٠ مارس ٢٠١٧م.
https://lite.almasryalyoum.com/extra/138512

عونى، رشا. (٢٠٢١م). «لم يمش فى جنازته أحد. أسرار فى حياة "زكى رستم"». البلد. ١٥ فبراير ٢٠٢١م.

www.elbalad.news/4700756

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی